الذِبحُ العَظِيم

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - شعبة البحوث والدراسات

١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ

سورة الصافات: آية ١٠٧.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين...

في قصة النبي العظيم إبراهيم عليه السلام وتضحيته بابنه النبي الصابر إسماعيل عليه السلام امتثالا لأمر الله جل وعلا، جاء وصف خاص للمفدى به بدلا عن النبي إسماعيل عليه السلام حيث وصف «بِذِبْحٍ عَظِيم»، و لم يكن هذا الذبح عظيماً إلا من جهة كونه قُدم قرباناً للّه جل وعلا بدلا عن نبي الله، والعظمة كانت لأن فيها حفظ نفس ولي الله، ومنه نعلم ما لأصحاب الحسين عليه السلام من منزلة تسنموها فكانوا في أعلى رتب الشهداء...

تمهيد

إن العقيدة السماوية تمتاز عن غيرها من النظريات الوضعية التي يطرحها الفلاسفة والمفكرون، وذلك إن العقيدة تحاكي العقل والقلب، تحاكي الفطرة الإنسانية، تحاكي مستويات العقول كافة، فهي تحاكي المفكرين والبسطاء وليست كالنظريات الفلسفية التي لا تألف مكاناً غير العقل، فهي ـ العقيدة الدينية ـ تعانق الروح لترتقي بالفرد فتجعل وجوده من وجودها، ووجودها من وجوده، كأنها هي هو وهو

هي، كأنها علاقة ذاتية لا تسمح بالانفكاك، ومن هنا يندفع التعجب والاستغراب عن مقدار ما يقدمه الأنبياء والأولياء والصالحين من أتباعهم.

إن فهم هذا المعنى وتصوره عندنا يكون باعثا لأنفسنا لتحصيل تلك المراتب، وبخلافه علينا مراجعة ذواتنا؛ لأن هنالك صنفان من الناس متباينان في قبول الدعوة الحسنى أشارت لها آيتان من القرآن الكريم، أحد الصنفين يبيع نفسه يبتغي من هذا البيع رضا الله، لا يجد لنفسه مكاناً في الوجود سوى إطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى فلا تكون له إرادة سوى إرادته جل وعلا، قد استعد وأعد نفسه للصلاح والإصلاح والوقوف ضد الفساد والإفساد، يقدم كل ما لديه وأعز ما عنده في عالم الدنيا قرباناً من أجل إقامة الحق وإماتة الباطل.

والصنف الآخر لا يرى في الوجود إلا نفسه ولا يعتز إلا بها ولا يرجو الخير إلا لها، ويتوهم أن ذاته أفضل ما حصل ويحصل، يمهد الأشياء لنفسه، يتعالى عن كل نصيحة وقول، يأنف من التنبيه والإرشاد لا يحتمل النصيحة، وهذا الصنف نتيجته الفساد والإفساد.

هذان الصنفان أشار لهما القرآن الكريم حيث قال عن الصنف الأول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ

اللَّهِ[١]﴾ وأشار إلى الصنف الآخر بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٢]، ونتيجة كل منهما وحسب النص القرآني أن الصنف الأول ثمن بيعه الجنة كما في سورة التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، وأما الصنف الثاني ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ فهو تكفيه جهنم جزاءً له لأنه أعد نفسه لها بكفره وتكبره ونفاقه التي هي آثار العزة بالإثم.

ثم إن هذين الصنفين قد يكونا من الآباء أو الأبناء، وقد يجتمع أحد الوصفين في كليهما أو في أحدهما، ففي معركة الإسلام الأولى ضد الشرك والوثنية كان عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي من الذين باعوا أنفسهم ابتغاء مرضاته جل وعلا، وكان معه أخواه الطفيل بن الحارث والحصين بن الحارث إلا أنهما لم يستشهدا، أما الجانب الآخر فكان عتبة بن ربيعة مع اثنين من أبنائه، إن وصول عبيدة بن الحارث رضوان الله عليه إلى هذه النتيجة المشرفة لم يأت بلا مقدمات سليمة وعمل صالح، فقد آمن وبايع ثم هاجر في سبيل الله فكانت خاتمته هذا الشرف المؤبد، وكذا الكلام في الطرف المقابل للإيمان فإنهم لم يصلوا إلى هذه

---

(١) - سورة البقرة آية ٢٠٧.

(٢) - سورة البقرة آية ٢٠٦.

النتيجة بلا مقدمات وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم في آيات كثيرة مثل قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(١)﴾ وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(٢)﴾ وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ(٣)﴾ هذه الآيات وغيرها تعلن أن كل عمل له آثاره، صالحاً كان أم طالحاً.

صفات انصار الحسين عليه السلام:

من هذا التمهيد يتضح حال أصحاب الحسين رضوان الله تعالى عليهم، وإنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من تفديتهم لولي الله عليه السلام لولا مقدمات كانت فيهم، إن تقديم أنفسهم فداءً ليكونوا ذبحاً عظيماً لم تَجُد به البشرية من سابق عهدها إلى يومنا هذا، لم يكن لولا اتصافهم بصفات خاصة.

وللأسف ضاع علينا كثير مما تمتع به هؤلاء الأفذاذ رضوان الله تعالى عليهم وخفي في صدور السابقين خوفاً أو

(١) ـ إبراهيم آية ٦٩.

(٢) ـ الكهف آية ١٣.

(٣) ـ الأعراف آية٩٦.

طمعاً أو قد يكون غيرهما، ولكن وإن ضاع أو خفي علينا ولم يبق منه إلا الأقل فإن في بعضه الكفاية، فإنا نعلم أن ليس كلام أو وصف يرقى إلى كلام المعصوم أو وصفه وقد خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام بقوله المبارك: «أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوفى من أهل بيتي»، وهذه الكلمات التي صدرت منه عليه السلام ونقلها الإمام زين العابدين عليه السلام لا يمكننا أن نصل إلى مداها إلا بمراجعة لما ذكره القرآن أو النبي صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى نعي قيمة ومكانة هؤلاء الأصحاب الذين قال عنهم الإمام المحيط بعلم القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء بأنه لا يعلم أن هناك أفضل وأخير منهم مطلقاً، وعليه يجب علينا مراجعة ما ذكره القرآن في سمات أصحاب النبي الأكرم الأوفياء أو ما ذكره المعصوم عليه السلام قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا[1] ﴾.

(١) ـ سورة الفتح آية ٢٩.

وقال جل شأنه في بيان حال بعضهم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ[١]﴾ .

وفي بعض آخر ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[٢]﴾ .

وقال أيضا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ[٣]﴾ .

وروى الكليني في وصف أصحاب رسول الله روايات عدة نذكر منها أمثلة على سبيل الاختصار، قال: عن «عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم ليصبحون ويمسون شعثا غبرا خمصا، بين أعينهم كركب

(١) ـ سورة الحشر آية ٨.

(٢) ـ سورة الحشرآية٩.

(٣) ـ سورة الحجرات آية ١٥.

المعـزى، يبيتون لربهم سـجدا وقياما يراوحـون بين أقدامهم وجباههـم، يناجـون ربهم ويسـألونه فكاك رقابهـم من النار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون، مشفقون»[١].

وروى - عن أبي حمزة، عن علي بن الحسـين عليهما السلام قال: صلى أمـير المؤمنـين عليه السلام الفجر ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح وأقبل على الناس بوجهه، فقال: والله لقد أدركت أقواما يبيتون لربهم سـجدا وقياما يخالفون بين جباههـم وركبهم، كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مـادوا كما يميد الشـجر، كأنما القوم باتـوا غافلين، قال: ثم قام فما رئي ضاحكا حتى قبض «صلوات الله عليه»[٢].

ونقـل أيضاً - عن عيسـى النهر يري، عـن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: مـن عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعفى نفسه بالصيام والقيام، قالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله؟ قال: إن أولياء الله سـكتوا فكان سـكوتهم ذكرا، ونظروا فـكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركـة، لـولا الآجال التي قد كتبت عليهـم لم تقر أرواحهم في أجسادهم خوفا من العذاب وشوقا إلى الثواب»[٣].

---

(١) ـ الكافي ج ٢ص ٢٣٥.

(٢) - الكافي ج٢ ص٢٣٦.

(٣) - الكافي ج٢ ص٢٣٧-٢٣٨.

وفي خطبة للإمام الحسن بن علي عليه السلام وصف فيها أحد أصحابه قائلاً: «أيها الناس أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، كان خارجا من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، كان خارجا من سلطان ا لجهالة فلا يمد يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذ القائلين كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا وكان لا يغفل عن إخوانه، ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفا مستضعفا فإذا جاء ا لجد كان ليثا عاديا، كان لا يلوم أحدا فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذارا، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزه أمران لا يدري أيهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعا إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة، إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٣٨.

هذه المجموعة من الصفات والقيم التي ذكرها القرآن والمعصومون عليهم السلام تنبئنا عن بعض ما يتملكه أصحاب الحسين عليه السلام ولا نريد أن نرجم بالغيب ونقول أن فيهم ما ليس في غيرهم من الأصحاب وعلى مدى التأريخ ويمكننا أن نستشفع بعد كلام الإمام الحسين عليه السلام بكلمة لأحد العلماء الأعلام يصف فيها أصحاب الحسين عليه السلام قائلاً: ولم تسمح الدنيا حتى اليوم بأمة أو عصابة طاهرة تألفت من أفراد طاهرة من غير استثناء، مؤمنة واقفة على قدم صدق من غير عثرة قط إلا ما نقل في حديث الطف[١].

عزم هؤلاء الأبطال على القتال مع إمامهم عليه السلام والموت دونه رغم قلتهم وكثرة عدوهم، فأدهشوا العقول وحيروا الألباب بشجاعتهم وبطولاتهم حتى تنادى أعدائهم: «أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحدٌ منكم إلا قتلوه على قلتهم، لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم» قتلوا الصناديد وجندلوا الأبطال فاعترف أعداؤهم بأنهم من طراز خاص لا يقاس بهم، لأن الدوافع التي قاتل من أجلها أصحاب الحسين رضوان الله تعالى عليهم هي من نوع الدوافع التي قاتل عنها النبي صلى الله عليه وآله ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن لها نوع مشابهة ومقايسة مع دوافع الجيش الأموي[٢].

---

(١) ـ الميزان في تفسير القرآن ج٤ ص٤١٧.

(٢) - لما قتل كعب بن جابر بريراً وسمعت أخته النوار ذلك قالت: أعنت على

كان أصحاب الحسين عليه السلام طرازاً خاصاً وفريداً، رجال بلغوا أعلى درجات الكمال والوعي والبصيرة، كأن نداء النبي عيسى عليه السلام جرى على لسان الإمام الحسين عليه السلام ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا اللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[1]﴾ وكأنهم

ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيما من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبدا. فقال كعب واصفاً حال الحسين وأصحابه:

سلي تخبري عني وأنت ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع

ألم أت أقصى ما كرهت ولم يخل ... علي غداة الروع ما أنا صانع

معي يزني لم تخنه كعوبه ... وأبيض مخشوب الغرارين قاطع

فجردته في عصبة ليس دينهم ... بديني وإني بابن حرب لقانع

ولم تر عيني مثلهم في زمانهم ... ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع

أشد قراعا بالسيوف لدى الوغى ... ألا كل من يحمي الذمار مقارع

وقد صبروا للطعن والضرب حسرا ... وقد نازلوا لو أن ذلك نافع

فابلغ عبيد الله إما لقيته ... بأني مطيع للخليفة سامع

قتلت بريرا ثم حملت نعمة ... أبا منقذ لما دعا: من يماصع؟

راجع إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للشيخ محمد السماوي ص ١٢١

(١) - سورة آل عمران آية ٥٢.

الحواريون الذين نصروا الله، وإن قتالهم معه عليه السلام كان نابعاً عن عقيدة خالصة لا تشوبها شائبة، رجال امتحن الله قلوبهم بالإيمان فلم يكن دافعهم لنصرة إمامهم عصبية قبلية أو لنفعية دنيوية، بل علموا أنهم ملاقوا ما سيلاقيه قائدهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام والذي صرّح به في إحدى خطبه عند توجهه إلى العراق: «خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خُط بالقلم[1]».

لقد خيّرهم بين البقاء معه أو تركه إن شاءوا، بل أنه عليه السلام طلب منهم النجاة بأنفسهم في أكثر من مقام ومنزل نزل به في طريقه إلى كربلاء في خطاب جمعي وفردي، توحد مضمونه وتنوع أسلوبه مثل قوله عليه السلام: «قد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام» ورغم قوله عليه السلام لأصحابه وأهله عامة قبل ليلة من المواجهة الكبرى: «ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً وتفرقوا

(١) - مثير الأحزان ص٢٩.

في سوادكم ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبوني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري[١]»، ثم تخصيصه عليه السلام القول لبني عقيل: «حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم[٢]»، أو لنافع بن هلال الجملي في تلك الليلة: «ألا تسلك بين هذين الجبلين وانج بنفسك[٣]»، أو غيره كجون مولى أبي ذر الغفاري حينما وقف يستأذنه في القتال: «يا جون أنت في إذن مني فإنما تبعتنا طلبا للعافية، فلا تبتل بطريقنا[٤]»، أو لمحمد بن بشير الحضرمي[٥] وكان ابنه قد أسر بثغر الري:

---

(١) - الكامل في التأريخ لابن الأثير ج٤ ص٥٧.

(٢) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣١٨.

(٣) - المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ص٢٣٠.

(٤) - أبصار العين في أنصار الحسين ص١٧٦.

(٥) - قال السيد محسن الأمين: بشر بن عمرو بن الاحدوث الحضرمي الكندي ذكره في أبصار العين بهذا العنوان وقال كان من حضرموت وعداده في كندة، وكان تابعيا وله أولاد معروفون بالمغازي وكان بشر ممن جاء إلى الحسين عليه السلام أيام المهادنة.

وقال السيد الداودي[ابن طاووس] لما كان اليوم العاشر من المحرم ووقع القتال قيل لبشر وهو في تلك الحال، إن ابنك عمرا قد أسر في ثغر الري، فقال عند الله احتسبه ونفسي ما كنت أحب أن يؤسر وأن أبقى بعده.=

= فسمع الحسين تم مقالته فقال له رحمك الله أنت في حل من بيعتي فاذهب واعمل في فكاك ابنك، فقال له أكلتني السباع حيا إن أنا فارقتك يا أبا عبد

«أنت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ولدك»، إلى غيرها من كلامه في الحل من بيعته عليه السلام.

إلا أن الذي يملك ما امتلكته هذه النخبة من الصفات والتي هي مثل أو فوق ما امتلكه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من شدة على الكفار، وتراحم بينهم، ويبتغون رضوان الله، وينصرون الله ورسوله، ولم يرتابوا، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم، وشعثا غبرا خمصا، ويقومون الليل، والخائفون المشفقون من خشية الله، ومن أهل اليقين، ولو لا الآجال لم تقر أرواحهم في أجسادهم، الزاهدون في الدنيا وحطامها، والذين لا يراؤون ولا يدعون، ويتواصلون ويقيمون حدود الأخوة الإيمانية، والشجعان وأولي البأس، وأهل البصيرة والرأي، والقانعون بما يرزقهم ربهم.... لا يمكن إلا أن يكون إعلانهم إعلاناً إيمانياً على نيل الشهادة، ليسجلوا للبشرية تأريخاً تتناقله الأجيال متفاخرة به، وتكون أفعالهم إنموذجا خالداً وعالياً في التضحية والفداء.

إن بعض من هذه الصفات وإن لم نستطع أن نذكر لها شاهداً تاريخياً لبعض أصحاب الإمام عليه السلام لكنه لا يمنع اتصافهم بها وثوقاً منا بقول قائدهم المعصوم الإمام الحسين

الله، فقال له فأعط ابنك محمدا وكان معه هذه الأثواب البرود يستعين بها في فكاك أخيه وأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار. أعيان الشيعة للأمين ج ١٤ ص ٥٧٥

عليه السلام ولما روته الأحاديث الشريفة وذكرته الأخبار المروية في شأنهم ومكانتهم، وسنذكره إن شاء الله، فقد ظهر منهم في أيام الثورة ما يعزز قولنا ونبوبه في نقاط هي:

١ - الحب لولي الله:

من صفات هؤلاء الأخيار حبهم لولي الله، وهذا الحب تجلى من مواقفهم والتي نذكر منها:

❖ موقف زهير بن القين حين قال: «والله وددت إني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف مرة وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك[١]».

❖ ونافع بن هلال ا لجملي: «ثكلتني أمي إن سيفي بألف وفرسي مثله فوا الله الذي منَّ بك عليّ لا أفارقك حتى يكلا عن فري وجري[٢]».

❖ وبرير بن خضير: «يا ابن رسول الله، لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة بين أيدينا شفيعا لنا، فلا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم، وويل لهم ماذا يلقون به الله، وأف لهم يوم ينادون بالويل والثبور في نار جهنم[٣]».

(١) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣١٨.

(٢) - المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة ص٢٣١.

(٣) - أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام ص ١٢١.

❖ وروى الطبري: إنه لما صرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين مشى إليه الحسين وحبيب بن مظاهر فدنا منه حبيب فقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر يا لجنة! فقال له مسلم قولا ضعيفا: بشرك الله بخير! فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما همك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين، قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه، قال: أفعل ورب الكعبة[1].

٢- كثرة الاشتغال بالعبادة والمحافظة عليها:

ومما امتاز به أصحابه رضوان الله عليهم كثرة اشتغالهم بالعبادة والذكر أداءً للحق الواجب عليهم، ورغبة في رضاه جل وعلا، فكان فيهم العابدون وقراء القرآن وحفظته، ولا يغيب موقف الصيداوي حين دنا وقت الصلاة وهم مشتغلون بالقتال والدفاع عن حرمات الله ورسوله، روى ابن الأثير: ولما حضر وقت الصلاة قال أبو ثمامة الصيداوي للحسين: نفسي لنفسك الفداء أرى هؤلاء قد اقتربوا منك والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقي ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، فرفع الحسين رأسه وقال: ذكرت

(١) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣٣١.

الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي[١].

وروى المؤرخون وأهل السير في أصحاب الحسين ليلة العاشر من محرم أنهم كانوا قياما الليل كله بين ركوع وسجود وتبتل وقراءة للقرآن، قال السيد محسن الأمين: وقام الحسين وأصحابه اللّيل كله يصلّون ويستغفرون ويدعون، وباتوا ولهم دوي كدوي النحل ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد[٢].

وحينما وقف الإمام الحسين عليه السلام على مصرع حبيب بن مظاهر قال: لله درّك يا حبيب، لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة[٣].

وفي ترجمة أبي عمرة زياد بن عريب بن حنظلة الهمداني الصائدي قالوا: كان عريب صحابيا وابنه زياد له إدراك وكان شجاعا ناسكا معروفا بالعبادة وحضر يوم عاشوراء وقتل مع الحسين عليه السلام[٤].

وكذا كان الغلام التركي الذي قاتل مع الحسين عليه السلام واسمه «أسلم» فقد كان قارئا للقرآن، قال صاحب الأعيان: وخرج

(١) - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٠

(٢) - أعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠، البحار ج٤٤ ص٣٩٤.

(٣) - شجرة طوبى ج٢ ص٤٤٢.

(٤) - أعيان الشيعة ج٧ ص٧٧.

غلام تركي كان للحسين عليه السلام اسمه أسلم وكان قارئا للقرآن فجعل يقاتل حتى قتل جماعة ثم سقط صريعا فجاء إليه الحسين عليه السلام فبكى ففتح عينيه فرأى الحسين عليه السلام فتبسم ثم صار إلى ربه[١].

والكلام بعينه يوصف به شبيب بن عبد الله النهشلي رضوان الله عليه، قال الشيخ هبة الله بن نما الحلي: حدث مهران مولى بني كاهل قال: شهدت كربلاء مع الحسين عليه السلام فرأيت رجلاً يقاتل قتالاً شديداً، لا يحمل على قوم إلا كشفهم، ثم يرجع إلى الحسين عليه السلام وهو يرتجز ويقول: أبشر هديت الرشد تلقى أحمدا في جنة الفردوس تعلو صُعُدا فقلت: من هذا؟ فقيل أبو عمرو النهشلي، فاعترضه عامر بن نهشل أحد بني اللات بن ثعلبة فقتله واحتز رأسه، وكان أبو عمرو هذا متهجداً كثير الصلاة[٢].

وقد كان هذا البطل تابعي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومعه في حروبه الثلاثة، ثم انضم إلى الحسن وإلى الحسين صلوات الله عليهما وخرج معه من المدينة إلى مكة وكربلاء واستشهد معه في الحملة الأولى[٣].

---

(١) - أعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٧.

(٢) - مثير الأحزان ص٤٢.

(٣) - مستدركات علم رجال الحديث ج ٤ ص ١٩٩

ونختم أمثلتنا ببرير بن خضير الهمداني المشرقي، فقد كان برير شيخا تابعيا ناسكا، قارئا للقرآن، من شيوخ القراء، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين[1].

٣- الاستبشار والاستئناس والشوق للشهادة:

إن العارفين ما للشهادة من منزلة لا تستقيم أرواحهم في أجسامهم، يدفعهم شوق اللقيا المباركة، والحصول عليها بنظرهم يستلزم شكراً كثيراً، ففي حوار جرى بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ذكره أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: يا علي إن أمتي سيفتنون من بعدي، فقلت: يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وأخرت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إن ذلك لذلك، فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر.

---

(١) - إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للشيخ محمد السماوي ص ١٢١

وروي عن أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الاستعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض، واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم، ثم لا يبالي إن وقع على الموت أو وقع الموت عليه، والله ما يبالي ابن أبي طالب إن وقع على الموت أو وقع الموت عليه[١].

بمثل هذا الاستعداد النفسي العالي كان أصحاب الحسين رضوان الله عليهم يقاتلون غير مبالين إن وقع عليهم الموت، نقل صاحب البحار: أن برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري، وقفا على باب الفسطاط ليطليا [وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يطلي بمسك]، فجعل برير يضاحك عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن، يا برير أتضحك؟ ما هذه ساعة [ضحك ولا] باطل، فقال برير: لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلا ولا شابا، وإنما أفعل ذلك استبشارا بما نصير إليه، فو الله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا، نعا لجهم[بها] ساعة ثم نعانق الحور العين[٢].

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنخلي عنك ولما نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقك؟! أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن

(١) - بحار الأنوار ج ٤١ ص٧.

(٢) - بحار الأنوار ج٤٥ ص١.

معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا[١].

وبنفس الروحية والمعنى قام سعيد بن عبد الله الحنفي مخاطباً سيده عليه السلام، ورد في زيارة الناحية المقدسة «السلام على سعيد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو أعلم أني اقتل ثم أحرق ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي موتة أو قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا، فقد لقيت حمامك، وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين[٢]» وقد صدق... فهو الذي فدى إمامه، فإنه لما حان وقت الصلاة، وقال الإمام الحسين عليه السلام له ولزهير بن القين: تقدما أمامي حتى أصلي الظهر

(١) - الإرشاد ج ٢ص ٩٢.

(٢) - المزار لمحمد بن جعفر المشهدي ص ٤٩٢

فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف، وروي أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدم أمام الحسين، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين عليه السلام يمينا وشمالا، قام بين يديه، فما زال يرمى به حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم أبلغ نبيك السلام عني وأبلغه ما لقيت من ألم ا لجراح، فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك، ثم مات رضوان الله عليه، فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح[١].

ولما أحيط بالحسين عليه السلام وأصحابه وفي اشتداد الحرب وتساقط الأبطال الصالحين وقف حنظلة بن أسعد الشبامي بين يدي الإمام وخطب بالناس ثم التفت إلى سيده وقال: أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟ فقال عليه السلام: رُح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى مُلك لا يُبلى، فقال: السلام عليك أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرّف بيننا وبينك في جنته، فقال عليه السلام: آمين، آمين، فستقدم حنظلة الشبامي فقاتل حتى قُتل[٢].

---

(١) - بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢١

(٢) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣٣٨.

٤- النصرة باللسان:

الدفاع عن حياض الدين وجهاد أعدائه عنوان أولي ومهم وإليه حث القرآن الكريم المؤمنين، ولهذا الدفاع آثار يؤكدها القرآن، الأول هو النصر والثاني هو الثبات قال تعالى﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّه يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُم﴾ [1] وقد وقف أصحاب الإمام عليه السلام هذا الموقف فنصروه باللسان قبل السنان وإليك بعض المواقف:

❖ موقف حبيب بن مظاهر

روى محمد بن أبي طالب في مقتله أنه لما وصل حبيب إلى الحسين عليه السلام ورأى قلة أنصاره وكثرة محاربيه قال للحسين عليه السلام: إن ههنا حياً من بني أسد فلو أذنت لي لسرت إليهم ودعوتهم إلى نصرتك لعل الله أن يهديهم وأن يدفع بهم عنك، فأذن له الحسين عليه السلام فسار إليهم حتى وافاهم فجلس في ناديهم ووعظهم وقال في كلامه: يا بني أسد قد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن علي أمير المؤمنين وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين، وقد أطافت به أعداؤه ليقتلوه، فأتيتكم لتمنعوه وتحفظوا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، فو الله لئن نصرتموه ليعطينكم الله شرف الدنيا والآخرة، وقد خصصتكم بهذه

(١) - سورة محمد آية ٧.

المكرمة لأنكم قومي وبنو أبي وأقرب الناس مني رحما.

فقام عبد الله بن بشير الأسدي وقال: شكر الله سعيكم يا أبا القاسم، فو الله لجئتنا بمكرمة يستأثر بها المرء الأحب فالأحب، أما أنا فأول من أجاب، وأجاب جماعة بنحو جوابه فنهدوا مع حبيب وانسل منهم رجل فأخبر ابن سعد فأرسل الأزرق في خمسمائة فارس، فعارضهم ليلا ومانعهم فلم يمتنعوا فقاتلهم، فلما علموا أن لا طاقة لهم بهم تراجعوا في ظلام الليل وتحملوا عن منازلهم، وعاد حبيب إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما كان، فقال عليه السلام ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

وموقف ثان لحبيب ذكره السيد محسن الأمين في أعيانه: لما زحف ابن سعد إلى الحسين عليه السلام يوم التاسع من المحرم، قال العباس بن علي: أتاك القوم! فقال: اركب يا أخي حتى تلقاهم وتسألهم عما جاء بهم.

فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارسا فيهم: زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فسألهم العباس فقالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم. قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم. فوقفوا وانصرف العباس راجعا يركض إلى الحسين ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر

(١) - أعيان الشيعة للأمين ج ٢٠ ص ٥٥٣.

لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت، وإن شئت كلمتهم، فقال له زهير: أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم.

فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غدا قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل البيت وعباد أهل هذا العصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيرا[1].

وموقف ثالث ذكره الطبري:

إنه لما حضر وقت صلاة الظهر وقال الحسين: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي ففعلوا، فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل. قال له حبيب بن مظاهر زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وتقبل منك يا خمار أو يا حمار ! فحمل عليه حصين بن تميم وخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف فشب ووقع عنه وحمله أصحابه فاستنقذوه وأخذ حبيب يقول:

أقسم لو كنا لكم أعدادا أو شطركم وليتم الأكتادا

يا شر قوم حسبا وآدا

(١) - أعيان الشيعة ج٤ ص٥٥٥.

وجـعل يقول يومئذ:

أنـا حبيـب وأبـي مظهـر فارس هيجاء وحرب تسعر

أنتـم أعد عـدة وأكثـر ونـحن أوفى منكم وأصبر

ونحن أعلى حـجة وأظـهر حـقا وأتقى منكم وأعذر[١]

❖ موقف برير بن خضير

وفي البحار عن كتاب المقتل تأليف السيد العالم محمد ابن أبـي طالب بـن أحمد الحسـيني الحائري قـال: ركب أصحاب عمر بن سـعد فقرب إلى الحسـين فرسه فاستوى عليه وتقدم نحـو القـوم في نفر من أصحابـه وبين يديه بريـر بن خضير فقال له الحسين: كلم القوم، فتقدم برير، فقال: يا قوم اتقوا الله فإن ثقل محمد ﷺ قد أصبح بين أظهركم وهؤلاء ذريته وبناته وحرمه فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهـم، فقالـوا، نريد أن نمكن منهم الأمـير ابن زياد فيرى رأيه فيهـم، فقـال لهم بريـر: أ فلا تقبلـون منهـم أن يرجعوا إلى المـكان الذي جاءوا منه؟ ويلكم يا أهل الكوفة أنسـيتم كتبكم وعهودكـم الـتي أعطيتموهـا وأشـهدتم الله عليها يـا ويلكم أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسـكم دونهم حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء

(١) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣٣٤

الفرات بئس ما خلفتم نبيكم في ذريته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم أنتم.

فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندري ما تقول، فقال: برير الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء القوم، اللهم ألق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان، فجعل القوم يرمونه بالسهام فرجع برير إلى ورائه[١].

❖ موقف يزيد بن الحصين الهمداني

قال الشيخ المجلسي: ولما بلغ العطش من الحسين عليه السلام وأصحابه، أدخل عليه رجل من شيعته يقال له: يزيد بن الحصين الهمداني... فقال: يا ابن رسول الله تأذن لي فأخرج إليهم فأكلمهم؟ فأذن له فخرج إليهم فقال: يا معشر الناس إن الله عز وجل بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها، وقد حيل بينه وبين ابنه، فقالوا: يا يزيد فقد أكثرت الكلام فاكفف فو الله ليعطشن الحسين كما عطش من كان قبله، فقال الحسين عليه السلام: اقعد يا يزيد[٢].

(١) - بحار الأنوار ٤٥ ص٥.

(٢) - بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٨بتصرف.

❖ موقف زهير بن القين

وخرج زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح فقال: يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله، نذار إن حقا على المسلم نصيحة المسلم ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فسبوه واثنوا على ابن زياد، فقال لهم، يا عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فلعمري إن يزيد يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام، فرماه شمر بسهم، وقال اسكت اسكتَ الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال زهير: يا ابن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين وأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم [وبعد رد زهير على شمر بن ذي ا لجوشن] ثم أقبل على الناس رافعا صوته فقال: عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا ا لجلف الخافي وأشباهه فو الله لا تنال شفاعة رسول الله ﷺ قوما أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم، قال فناداه رجل فقال له، إن أبا عبد الله عليه السلام يقول لك أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ[1].

(١) - تاريخ الطبري ج ٤ص ٣٢٤

❖ موقف الحر الرياحي

بعد ندمه ومجيئه إلى معسكر الحسين عليه السلام وتوبته مما صدر منه استأذن وتقدم أمام الإمام الحسين عليه السلام فقال: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر، أدعوتم هذا العبد الصا لح حتى إذا جاءكم أسلمتموه وزعمتم إنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لقتله وأمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه في بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرا، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات ا لجاري يشربه اليهود والنصارى وا لمجوس وتتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه فهاهم قد صرعهم العطش بئس ما خلفتم محمدا في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ.

فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل فرجع حتى وقف أمام الحسين عليه السلام[1].

❖ موقف الشبامي:

وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي، فقام بين يدي الحسين عليه السلام: فأخذ ينادي: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ـ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ـ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ـ

(١) - الإرشاد ج٢ ص١٠١

يَوْمَ تُوَلّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يا قوم لا تقتلوا حسيناً عليه السلام، فيُسحتكم الله بعذاب: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (١).

٥- الإخلاص والطاعة:

حتى وإن تحولت الأمة إلى قطيع يسوقها ذئب فاجر وتحيطها كلاب شرسة، فإن أصحاب العقيدة لا ينخذلون لقلة من معهم؛ لأنهم علموا أن الواجب الإلهي ألزمهم بإطاعة ولي الأمر، فقد تلوا كتابه ونطق به عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢)، لن يتركوا ولي الأمر حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته ومن كان من رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله منه، لقد علموا أن حبهم له هو حب لرسول الله صلى الله عليه وآله وحب رسول الله صلى الله عليه وآله هو حب لله وأول الحب الطاعة والإخلاص لا لغيره، لأنه لا يجتمع حبان في قلب واحد.

إن في معسكر الحسين عليه السلام رجال كانوا بهذا الوصف لا يقبلون مفارقة ولي الله، ويقدمون أنفسهم قبل نفسه الزكية، وعن أحوالهم ورفضهم فراق الإمام الحسين عليه السلام ومصاحبته من أول مسيرته المباركة، بل أن بعضهم رفض إلا أن يختلط دمه مع دم سيده، وبعضهم وفي شدة العطش رفض أن يذوق

---

(١) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣٣٧، الكامل في التأريخ لابن الأثير ج٤ ص٧٢.

(٢) - ـ سورة النساء آية٥٩.

الماء أو قد منع نفسه بالتفكير في شربه قبل سيده وأهل بيت سيده، روت كتب التأريخ والسير والمقاتل ومن هذه الأحوال نذكر:

❖ بعض أحوال أبي الفضل العباس عليه السلام:

لقد قال العباس عليه السلام وهو ينوب عن إخوته وبني عمومته لما طلب منهم الإمام الحسين عليه السلام أن يتركوه وحده: «لمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا نقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك[1]».

قال أهل السير: وكان العباس ربما ركز لواءه أمام الحسين وحامى عن أصحابه أو استقى ماءً فكان يلقب السقّاء، ويكنى أبا قربة بعد قتله... ولما رأى وحدة الحسين عليه السلام بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته... فجاء إلى الحسين عليه السلام واستأذنه في المصال.

فقال عليه السلام له: أنت حامل لوائي، فقال: لقد ضاق صدري وسئمت الحياة، فقال له الحسين عليه السلام. إن عزمت فاستسق لنا ماءً، فأخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة قالوا واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين عليه السلام فرمى بها وقال:

---

(١) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣١٨، تجارب الأمم لأحمد بن مسكويه الرازي ج٢ ص٧٥، المنتظم لابن الجوزي ج٥ ص٣٣٨، وغيره.

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

ثم عاد فأخذ عليه الطريق فجعل يضربهم بسيفه وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أداري في المصاليت لقى

إني أنا العباس أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى

فضربه حكيم بن طفيل الطائي السنبسي على يمينه فبراها فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتموا يميني إني أحامي أبدا عن ديني

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فبراها، فضم اللواء إلى صدره «كما فعل عمه جعفر إذ قطعوا يمينه ويساره في مؤتة فضم اللواء إلى صدره» وهو يقول:

إلا ترون معشر الفجار قد قطعوا ببغيهم يساري[1]

وقبل المعركة لما اشتد العطش بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام خرج هو مع خمسين بطلا وسقوا الماء لمعسكرهم ولم يشربوا قبل سيدهم عليه السلام.

---

(١) - مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي ص ١٧٨ - ١٧٩

قال المجلسي: فلما اشتد العطش بالحسين دعا بأخيه العباس فضم إليه ثلاثين فارسا وعشرين راكبا، وبعث معه عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات فقال عمرو بن الحجاج: من أنتم؟ فقال رجل من أصحاب الحسين عليه السلام، يقال له هلال بن نافع البجلي: ابن عم لك جئت أشرب من هذا الماء، فقال عمرو: اشرب هنيئا فقال هلال: ويحك تأمرني أن أشرب والحسين بن علي ومن معه يموتون عطشا؟ فقال عمرو: صدقت ولكن أمرنا بأمر لا بد أن ننتهي إليه، فصاح هلال بأصحابه فدخلوا الفرات، وصاح عمرو [وكان يحرس الماء ومعه خمسمائة فارس] بالناس واقتتلوا قتالا شديدا، فكان قوم يقاتلون، وقوم يملأون حتى ملأوها، ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد ثم رجع القوم إلى معسكرهم، فشرب الحسين ومن كان معه، ولذلك سمي العباس عليه السلام السقّاء[1].

❖ الحارث بن نبهان:

وفي بعض أحوال الحارث ذكروا أنه لم يترك أئمة أهل البيت عليهم السلام وخرج مع الإمام الحسين عليه السلام إلى أن استشهد، قال الخزار القمي: الحارث بن نبهان مولى حمزة بن عبد المطلب، قال أهل السير: إن نبهان كان عبدا لحمزة شجاعا فارسا، مات بعد شهادة حمزة بسنتين، وانضم ابنه الحارث إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم بعده إلى الحسن ثم إلى الحسين عليهم السلام، فلما

(١) - بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨٨.

خرج الحسين خرج الحارث معه وتقدم أمام الحسين عليه السلام ففاز بالشهادة رضوان الله عليه[١].

❖ سعد بن الحرث

وكذا كان حال سعد بن الحرث مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد كان سعد مولى لعلي عليه السلام فانضم بعده إلى الحسن عليه السلام ثم إلى الحسين عليه السلام، فلما خرج من المدينة خرج معه إلى مكة ثم إلى كربلاء فقتل بها في الحملة الأولى[٢].

❖ جون بن حوي

ولا ننسى موقف جون بن حوي مولى أبي ذر الغفاري حين يقول لإمامه عليه السلام: «أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟ والله إن ريحي لنتن وحسبي للئيم ولوني لأسود فتنفس علي با لجنة فيطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم»[٣].

٦- الوعي والبصيرة النافذة:

ومن صفاتهم التي برزت أيام المواجهة هي عمق الوعي والبصيرة في حقانية دفاعهم عن الإسلام، فلم يبالوا بكثرة

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي - ص ٣٢٢

(٢) - أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام ص٩٦

(٣) - مثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٤٧

عدوهـم وقلـة عددهم، ولم يبالوا في إحاطة الموت بهم من كل جانب، ولم يهابوا الرماح والسـيوف التي ستشهر بوجوههم، فهم على الحق، يعلمون أن الموت قنطرة توصلهم إلى الكرامة الـتي لا انقضاء بعدها أبـدا، ونجد هذه الحقيقة متجلية في كلام الفـارس المقدام شـبيه رسـول الله خلقاً وخلقـاً، ومن إذا اشتاق أهل البيت إلى رسول اللهﷺ نظروا إليه، روى الطبري عن أبي مخنف قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سمعان قال لما كان في آخر الليل أمر الحسـين بالاسـتقاء مـن المـاء ثم أمرنـا بالرحيـل ففعلنا قـال فلمـا ارتحلنا من قصر بنى مقاتل وسـرنا سـاعة خفق الحسـين برأسـه خفقة ثـم انتبـه وهو يقول إنـا لله وإنا إليه راجعـون والحمد لله رب العالمـين قـال ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا قـال فأقبل إليه ابنه علي بن الحسـين على فرس له فقـال إنا لله وانا إليه راجعون والحمـد لله رب العالمـين، يا أبت جعلت فـداك مم حمدت الله واسـترجعت، قـال: يا بنى إني خفقت برأسـي خفقة فعنّ لي فـارس على فرس فقال القوم يسـيرون والمنايا تسـرى إليهم، فعلمـت أنهـا أنفسـنا نعيت إلينا، قال له: يـا أبت لا أراك الله سـوءا ألسـنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قـال: يـا أبت إذاً لا نبالي نموت محقـين، فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده[١].

(١) - تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠٨

ونجد هذه الحقيقة في كلمات مسلم بن عوسجة وهو يخاطب الإمام الحسين عليه السلام: «أنحن نخلي عنك وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك، أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك[١]».

وفي رد زهير بن القين على شمر بن ذي ا لجوشن حين قال: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، فقال زهير بن القين: أفبالموت تخوفني والله لموت معه أحب إلي من الخلد معكم[٢].

ولما رأى الحر بن يزيد أن القوم قد صمموا على قتال الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد أتقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: اي والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: فما لكم فيما عرضه عليكم رضا؟ قال: أما لو كان الأمر إلي لفعلت ولكن أميرك قد أبى، فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفا ومعه رجل من قومه يقال له قرة بن قيس فقال له: يا قرة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فما تريد أن تسقيه؟ قال قرة: فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال فكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فأسقيه، فاعتزلت ذلك المكان الذي كان

(١) - أعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧

(٢) - تأريخ الطبري ج٤ ص٣٢٤.

فيه فو الله لو أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين عليه السلام فأخذ الحر يدنو من الحسين عليه السلام قليلا قليلا فقال له المهاجر بن أوس ما تريد يا ابن يزيد أتريد أن تحمل، فلم يجبه وأخذه مثل الأفكل وهي الرعدة فقال له المهاجر: إن أمرك لمريب والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا ولو قيل لي مَن أشجع أهل الكوفة ما عدوتك فما هذا الذي أرى منك، فقال الحر: إني والله أخير نفسي بين ا لجنة والنار فو الله أني لا أختار على ا لجنة شيئا ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه قاصدا إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول اللهم إليك أنيب فتب علي فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك، وقال للحسين عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطرق وجعجعت بك في هذا المكان وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ولا يبلغون منك هذه المنزلة والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت وإني قد جئتك تائبا مما كان مني إلى ربي مواسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك فهل ترى لي من توبة فقال له الحسين عليه السلام نعم يتوب الله عليك، فأنزل، قال أنا لك فارسا خير مني راجلا، أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول يصير آخر أمري[1].

---

(١) - لواعج الأشجان ص ١٣٤ - ١٣٧

٧- الشجاعة والثبات:

لما عبأ ابن سعد أصحابه، فأحاطوا بالحسين، من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة خرج الحسين من أصحابه، فأتاهم، فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا فقال لهم: ويلكم ! ما عليكم ان تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي ! وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد! فتلاوم أصحاب عمر بن سعد، وقالوا: أنصتوا له، فقال: تبا لكم أيتها ا لجماعة وترحا! أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم، وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم وا لجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها فسحقا لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الآثم ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، تآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجى للناظر وأكلة للغاصب.

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك، ورسوله

والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية مـن أن نؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسـرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثم أنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي.

فإن نهـزم فهزامـون قدمـا وإن نهـزم فغـير مهزمينا

وما إن طبنـا جبـن ولكـن منايانا ودولـة آخريـنا

فقل للشامتين بنـا أفيقـوا سيلقى الشامتون كما لقينا

إذا ما الموت رفـع عـن أنـاس بـكلكله أنـاخ بآخريـنا

أمـا والله لا تلبثـون بعدهـا إلا كريثما يركـب الفرس، حتى تـدور بكم دور الرحى، وتقلق بكـم قلق المحور، عهد عهده إلى أبي عن جدي رسـول الله ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُـرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُـنْ أَمْرُكُـمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُـمَّ اقْضُوا إِلَـيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْـتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّـي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

ثـم رفـع يديه نحو السـماء وقال اللهم احبـس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام

ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير.

والله لا يدع أحدا منهم إلا انتقم لي منه قتلة بقتلة وضربة بضربة وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي[١].

زحف الجيش الأموي ووضع قائدهم عمر بن سعد في كبد قوسه سهما ورمى به نحو معسكر الحسين عليه السلام، وأول المهاجمين من الجيش الأموي كانت ميسرته، فثبتت لهم هذه الفئة القليلة المؤمنة بربها وصدوا هذا الزحف ثم حمل الخيالة من أصحاب الحسين وانتقلوا من الدفاع إلى الهجوم لفك الحصار، وحمل هؤلاء الاثنان والثلاثون فارسا على الجيش الأموي وكشف خيالته وعندها صرخ عزرة بن قيس وكان على خيل الكوفة منادياً شيطانه عمر بن سعد أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة[٢]؟.

وحمل على الحسين وأصحابه من كل جانب، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديدا،...

---

(١) - معالم المدرستين ج ٣ ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) - معالم المدرستين ج ٣ ص ١٠٤.

فبعث عليهم بالرماة فعقر بالحر بن يزيد فرسه فنزل عنه وجعل يقول:

إن تعقروا بي فأنا ابن الحر أشجع من ذي لبد هزبر[١]

نعم رغم قلتهم وتكاثر أعدائهم عليهم، إلا أن كل واحد منهم كان يهزم العشرات؛ لأن النفس المؤمنة لا تُغلب وإن لم تنتصر.

و نحن لا نحتاج أن نثبت دليلا على هذا الوصف بعد أن شهد به أعداؤهم، قال: رجل من جيش عمر بن سعد لرجل وبخه على قتاله الإمام الحسين عليه السلام: عضضت با لجندل، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يمينا وشمالا، وتلقى أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها و بين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويدا لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أم لك[٢].

(١) - الإرشاد ج ٢ - ص ١٠٤.

(٢) - شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٣.

وقاتل أصحاب الحسين بن علي عليه السلام القوم أشد قتال حتى انتصف النهار، فلما رأى الحصين بن نمير - وكان على الرماة- صبر أصحاب الحسين عليه السلام تقدم إلى أصحابه - وكانوا خمسمائة نابل - أن يرشقوا أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل فرشقوهم، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وجرحوا الرجال، وأرجلوهم، واشتد القتال بينهم ساعة، وجاءهم شمر بن ذي الجوشن في أصحابه، فحمل عليهم زهير بن القين رحمه الله في عشرة رجال من أصحاب الحسين فكشفهم عن البيوت، وعطف عليهم شمر بن ذي الجوشن فقتل من القوم ورد الباقين إلى مواضعهم، وأنشأ زهير بن القين يقول مخاطبا للحسين عليه السلام:

اليوم نلقى جدك النبيا وحسنا والمرتضى عليا

وذا الجناحين الفتى الكميا[1]

وهنا يتضح أحد الفروق في أصحاب الحسين عليه السلام عن باقي الأصحاب، ففي أصحاب النبي وجدنا في بعض الأحيان انهزامية واضحة كما حدث يوم أحد أو حنين وقد كانوا متفوقين عددا وعدة كما صرحت به سورة التوبة ﴿وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ وهو اليوم

(١) - الإرشاد ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٥.

الذي أعجبت المسلمين كثرتهم إذ كانوا اثنا عشر ألفا و كان الكافرون أربعة آلاف فقط، فكانت الهزيمة للمسلمين، فإن الكثرة ليست إلا أحد الأسباب المادية الكثيرة المؤدية للغلبة.[١]

وبعد رواح الأصحاب إلى ا لجنة، ناجز بنو هاشم وثبتوا وأثبتوا أن لكل فرع مجيد أصل حميد، قارعوا وأدهشوا الدنيا بثباتهم ومبدئيتهم، لقد كانت كلماتهم تُفزع كما أن سيوفهم تقطع، وإليك نماذج ثبات بني هاشم:

أول من خرج منهم علي بن الحسين الأكبر وكان علي من أصبح الناس وجها وأحسنهم خلقا ... وهو أول قتيل يوم كربلاء من آل أبي طالب، فاستأذن أباه بالقتال فأذن له ثم نظر إليه نظر آيس منه وأرخى عينيه فبكى ثم رفع سبابتيه نحو السماء وقال اللهم كن أنت الشهيد عليهم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه، ثم رفع صوته وتلا: ﴿إِنَّ اللَّه اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فشد علي على الناس وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف أحامي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي

---

(١) - راجع تفسير المراغي ج١٠ ص٨٦.

فجعل يشد عليهم ثم يرجع إلى أبيه فيقول: يا أبتاه العطش، فيقول له الحسين عليه السلام: اصبر حبيبي فانك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله صلى الله عليه وآله بكأسه، فجعل يكر كرة بعد كرة... فقتل جماعة فنظر إليه مرة بن منقذ العبدي فقال علي آثام العرب إن هو فعل مثل ما أراه يفعل ومر بي إن لم أثكله أمه، فمر يشد على الناس كما كان يفعل فاعترضه مرة بن منقذ وطعنه بالرمح وقيل بل رماه بسهم فصرعه فنادى يا أبتاه عليك السلام هذا جدي يقرؤك السلام ويقول لك عجل القدوم علينا، واعتوره الناس فقطعوه بأسيافهم فجاء الحسين عليه السلام حتى وقف عليه وقال: قتل الله قوما قتلوك يا بني ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا[1].

وبرز عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهو يرتجز ويقول:

اليوم ألقى مسلما وهو أبي ... وفتية بادوا على دين النبي

ليسوا بقوم عرفوا بالكذب ... لكن خيار وكرام النسب

من هاشم السادات أهل الحسب

---

(١) - راجع أعيان الشيعة ج١ ص ٦٠٧

فقتل عدة رجال في ثلاث حملات فرماه عمير بن صبيح الصداوي وقيل غيره بسهم فوضع عبد الله يده على جبهته يتقيه فأصاب السهم كفه ونفذ إلى جبهته فسمرها فلم يستطع أن يحركها ثم طعنه أسيد بن مالك بالرمح في قلبه فقتله.[١]

وحمل الناس على الحسين عليه السلام وأهل بيته من كل جانب فخرج محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام ثم قاتل حتى قتل عشرة أنفس فحمل عليه عامر بن نهشل التميمي فقتله وخرج أخوه عون بن عبد الله بن جعفر عليه السلام وأمه أيضا زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر

يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفا في المحشر

ثم قاتل حتى قتل جماعة كثيرة فحمل عليه عبد الله بن قطبة الطائي فقتله.

وخرج القاسم بن الحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام وأمه أم ولد وهو غلام لم يبلغ الحلم فلما نظر الحسين عليه السلام إليه

(١) - في المناقب لابن شهر آشوب فتل ثمانية وتسعين رجلا بثلاث حملات، ج٣ ص٢٥٤.

قد برز اعتنقه وجعلا يبكيان ثم استأذن عمه في المبارزة فأبى أن يأذن له فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه حتى أذن له ودموعه تسيل على خديه وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الحسن سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن بين أناس لا سقوا صوب المزن

فقاتل قتالا شديدا حتى قتل على صغر سنة ثلاثة منهم وقيل أكثر[1].

وصاح الحسين عليه السلام في تلك الحال: صبرا يا بني عمومتي صبرا يا أهل بيتي فو الله لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم أبدا وتقدمت إخوة الحسين عليه السلام عازمين على أن يموتوا دونه، فأول من خرج منهم أبو بكر بن علي واسمه عبيد الله وأمه ليلى بنت مسعود من بني نهشل فتقدم وهو يرتجز ويقول:

شيخي علي ذو الفخار الأطول من هاشم الصدق الكريم المفضل

هذا حسين ابن النبي المرسل عنه نحامي بالحسام المصقل

تفديه نفسي من أخ مبجل

فلم يزل يقاتل حتى قتله زحر بن بدر النخعي، ثم برز من بعده أخوه عمر بن علي فحمل على زحر قاتل أخيه فقتله

(١) - المناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٢٥٤.

واستقبل القوم وجعل يضرب بسيفه ضربا منكرا وهو يقول:

خلوا عداة الله خلوا عن عمر خلوا عن الليث الهصور المكفهر

يضربكم بسيـــفه ولا يفـــر وليس فيها كا لجبان المنحجر

فلم يزل يقاتل حتى قتل[١].

مكانتهم ومنزلتهم رضوان الله عليهم:

❖ ان أصحابه هم صالح المؤمنين

أخبرنـا أبو عمر، قال: أخبرنا أحمد بن عقدة، قال: حدثنا أحمـد بـن الحسـين، قـال: حدثنا إسماعيـل بن عامـر، قال: حدثنا الحكم بن محمد بن القاسـم، قال: حدثنا أبو إسحاق السـبيعي: أن زيد بن أرقم خـرج من عنده يومئذ وهو يقول: أما والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني استودعكه وصا لح المؤمنين، فكيف حفظكم لوديعة رسول الله ﷺ ؟[٢]

---

(١) - أعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٨

(٢) - الأمالي ص ٢٥٢ ، تاريخ ابن عساكر ج١٤ ص٢٣٦.

❖ دماء أصحاب الحسين مع دم سيدهم يلتقطها ويضعها في قارورة واحدة

وروى ابن عساكر بسنده عن ابن عباس قال رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار أغبر أشعث وبيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل منذ اليوم التقطه فأحصي ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ[1].

❖ إن دماء أصحاب الحسين مع دم سيدهم يجمعها ويرفعها إلى الله

روى ابن عساكر بسنده عن علي بن زيد بن جدعان قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع، وقال قتل الحسين والله، فقال له أصحابه: كلا يا ابن عباس كلا، قال رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم، فقال ألا تعلم ما صنعت أمتي من بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله عز وجل.

---

(١) - تاريخ ابن عساكر ج ١٤ ص ٢٣٦.

قال فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة قال فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوما حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل ذلك اليوم وتلك الساعة[١].

❖ قبورهم حفرها النبي ﷺ كما حفر قبر ريحانته عليه السلام

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: أصبحت يوما أم سلمة رضي الله عنها تبكي فقيل لها: مم بكاؤك؟ فقالت: لقد قتل ابني الحسين الليلة، وذلك أنني ما رأيت رسول الله منذ مضى إلا الليلة فرأيته شاحبا كئيبا فقالت: قلت: ما لي أراك يا رسول الله شاحبا كئيبا؟ قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه عليه وعليهم السلام[٢].

❖ تألم رسول الله ﷺ وشدة المصاب عنده عليهم

عن ابن جبير، عن ابن عباس قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيما عاليا من بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها وأقبل أهل المدينة

---

(١) - تاريخ ابن عساكر ج ١٤ ص ٢٣٧.

(٢) - أمالي الطوسي ص٩٠.

إليها الرجال والنساء.

فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين ما لك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات، وقالت: يا بنات عبد المطلب اسعديني وابكين معي فقد قتل والله سيدكن وسيد شباب أهل ا لجنة، قد والله قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين، فقلت: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله في المنام الساعة شعثا مذعورا فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابني الحسين عليه السلام وأهل بيته اليوم، فدفنتهم والساعة فرغت من دفنهم.

قالت: فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرائيل من كربلاء فقال: إذا صارت هذه التربة دما فقد قتل ابنك وأعطانيها النبي فقال: اجعل هذه التربة في زجاجة أو قال في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دما عبيطا فقد قتل الحسين، فرأيت القارورة الآن وقد صارت دما عبيطا تفور.

قال: فأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها،

وجعلت ذلك اليوم مأتما ومناحة على الحسين عليه السلام فجاءت الركبان بخبره وأنه قتل في ذلك اليوم.

قال عمرو بن ثابت: إني دخلت على أبي جعفر محمد بن علي منزله فسألته عن هذا الحديث، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عباس، فقال أبو جعفر عليه السلام: حدثنيه عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة[١].

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه قال: فلما كانت الليلة القابلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي أغبراً أشعثاً، فذكرت له ذلك، وسألته عن شأنه، فقال لي: ألم تعلم أني فرغت من دفن الحسين وأصحابه[٢].

❖ هم الربانيون والأنصار السابقون وأن الله يأخذ بثأرهم

روى الكليني في زيارة قبر الحسين عليه السلام عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ثم تأتى قبور الشهداء وتسلم عليهم وتقول: السلام عليكم أيها الربانيون أنتم لنا فرط ونحن

(١) - قول عمرو بن ثابت يدفع إشكال الاختلاف في الرؤية الأولى لابن عباس أم لأم سلمة.

(٢) - بحار الأنوار ج٤٥ ص٢٣١.

لكم تبع ونحن لكم خلف وأنصار أشهد أنكم أنصار الله وسادة الشهداء في الدنيا والآخرة فإنكم أنصار الله كما قال الله عز وجل: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا وما ضعفتم و ما استكنتم حتى لقيتم الله على سبيل الحق ونصرة كلمة الله التامة، صلى الله على أرواحكم، وأبدانكم وسلم تسليما.

أبشروا بموعد الله الذي لاخلف له إنه لا يخلف الميعاد والله مدرك لكم بثار ما وعدكم أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة أنتم السابقون والمهاجرون و الأنصار أشهد أنكم قد جاهدتم في سبيل الله وقتلتم على منهاج رسول الله ﷺ وابن رسول الله صلى عليه وآله وسلم تسليما. الحمد لله الذي صدقكم وعده أراكم ما تحبون[1].

وجاء في منزلتهم كما في كامل الزيارات عن الإمام الصادق عليه السلام.

السلام عليكم يا أولياء الله، السلام عليكم يا أنصار الله

(١) - الكافي ج ٤ ص ٥٧٤.

وأنصار رسوله وأنصار أمير المؤمنين وأنصار ابن رسوله وأنصار دينه، أنتم خاصة الله اختصكم الله لأبي عبد الله عليه السلام، أنتم الشهداء وأنتم السعداء، أسعدتم عند الله وفزتم بالدرجات في الجنات مع من نصرتم، جزاكم الله خيرا من أعوان جزاء من صبر مع رسول الله، طافت عليكم رحمة من الله، بلغتم بها شرف الآخرة[١].

السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأوداءه، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم فوزا عظيما، فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم فوزا عظيما[٢].

إلى غيرها من الصفات التي في بيانها بحث خاص.

اللهم أعنا على أنفسنا لنهتدي بسيرتهم لنكون معهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) - كامل الزيارات لابن قولويه ص٤٢١.

(٢) - مصباح المتهجد للطوسي ص٧٢٢.

المصادر

القرآن الكريم
الكافي/ للكليني.
الميزان في تفسير الميزان/ الطباطبائي.
إبصار العين في أنصار الحسين/ الشيخ محمد السماوي.
مثير الأحزان/ ابن نما الحلي.
إنساب الأشراف/ البلاذري.
الكامل في التاريخ/ لابن الأثير.
تاريخ الطبري/ الطبري.
المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة/ الإمام شرف الدين الموسوي
أعيان الشيعة/ السيد محسن الأمين.
بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي.
شجرة طوبى/ الحائري.
مستدرك علم رجال الحديث / الشيخ النمازي.
الإرشاد/ للمفيد.
المزار/ محمد بن جعفر المشهدي.
تجارب الأمم/ ابن مسكويه الرازي.
المنتظم/ ابن الجوزي.
مقتل الحسين/ لابي مخنف الأزدي.
كفاية الأثر/ الخزار القمي.
لواعج الأشجان/ السيد محسن الأمين.
معالم المدرستين/ السيد مرتضى العسكري.
شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد.
تفسير المراغي/ المراغي.
الأمالي/ الشيخ الطوسي.
تاريخ ابن عساكر/ ابن عساكر.
كامل الزيارات/ ابن قولويه.
مصباح المتهجد/ الشيخ الطوسي.

الفهرست

المقدمة ٣

تمهيد ٣

صفاتهم رضوان الله عليهم ٦

١- الحب لولي الله ١٦

٢- كثرة الاشتغال بالعبادة والمحافظة عليها ١٧

٣- الاستبشار والاسئناس والشوق للشهادة في سبيل الله ٢٠

٤- النصرة باللسان ٢٤

٥- الإخلاص والطاعة ٣١

٦- الوعي والبصيرة النافذة ٣٥

٧- الشجاعة والثبات ٣٩

مكانتهم ومنزلتهم رضوان الله عليهم ٤٨

المصادر ٥٥